
البُلْبُلُ وَ الإمْبَراطور
أجمل حكاياتي
CHIHAB Kids

أجمل حكاياتي

البُلْبُلُ وَ الإِمْبَرَاطُورُ



مقتبسة من حكايات هانس كريستيان أندرسن
رسوم : منصور عموري



كَانَ يَا مَا كَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ إِمْبَرَاطُورٌ صِينِيٌّ يَعِيشُ فِي أَجْمَلِ قَصْرٍ فِي الدُّنْيَا. وَ كَانَتْ حَدِيقَتُهُ تَحْتَوِي عَلَى أَجْمَلِ الزُّهُورِ وَ أَغْرَبِهَا. وَ عَلَى أَحَدِ أَغْصَانِ شَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ مُزْهِرَةٍ فِي هَذِهِ الْحَدِيقَةِ أَقَامَ بُلْبُلٌ عُشَّهُ. وَ كَانَ لِهَذَا الْبُلْبُلِ تَغْرِيدٌ عَذْبٌ، لِدَرَجَةِ أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ يَسْمَعُهُ فِي الْجِوَارِ يَتَوَقَّفُ عَنِ الْعَمَلِ لِيُنْصِتَ لِشَدْوِهِ.





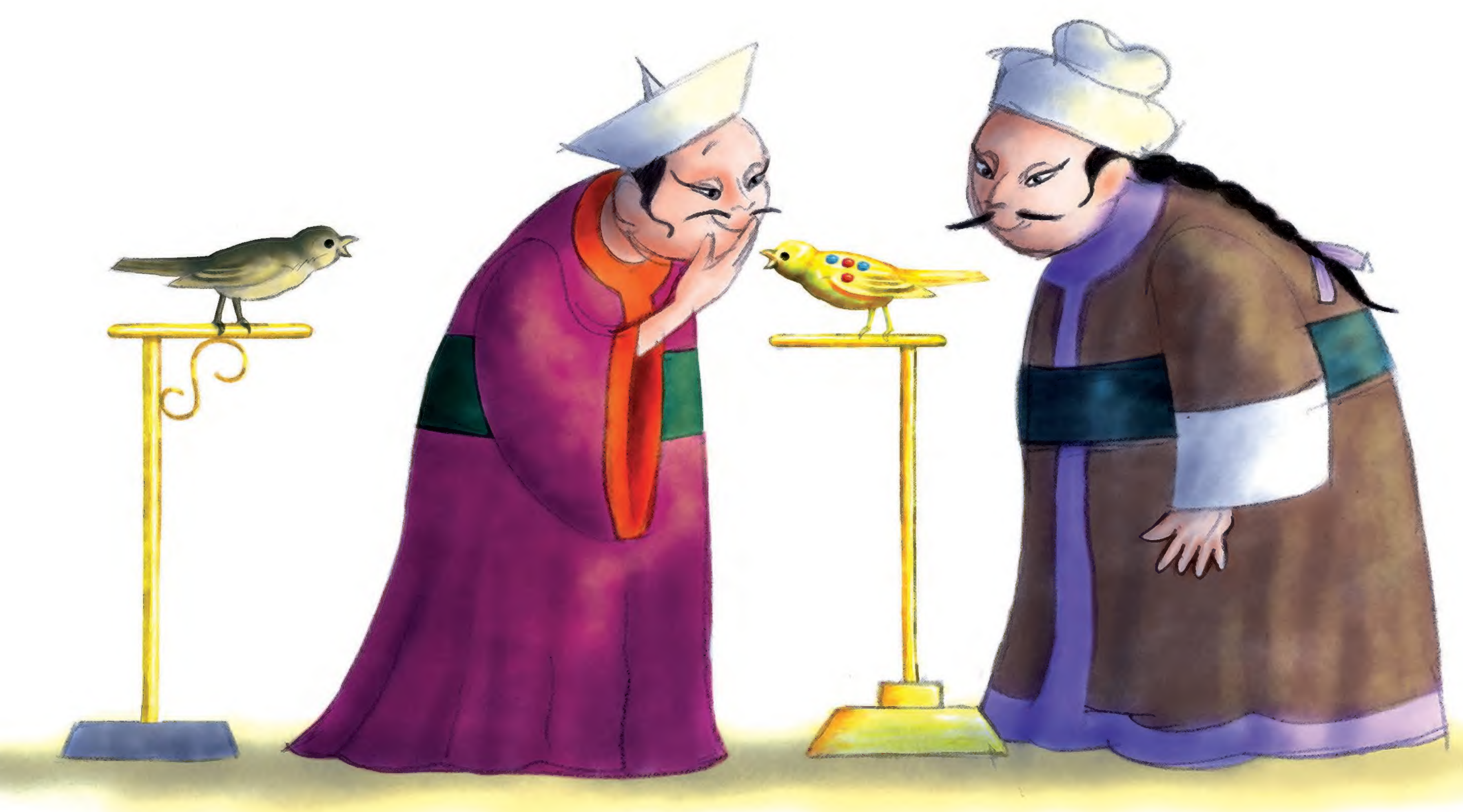
كَانَ الزُّوَّارُ يَتَوَافَدُونَ عَلَى مَدِينَةِ الإِمْبَرَاطُورِ مِنْ كُلِّ الْأَقْطَارِ. وَ يَقِفُونَ مُنْبَهِرِينَ أَمَامَ الْقَصْرِ وَ الْحَدِيقَةِ. لَكِنَّهُمْ عِنْدَمَا يَسْمَعُونَ الْبُلْبُلَ يُغَرِّدُ كَانُوا يَصِيحُونَ جَمِيعًا : « إِنَّ هَذَا لَعَجِيبٌ ! » وَ كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ وَ هُمْ مَفْتُونُونَ بِتَغْرِيدِ الْعُصْفُورِ حَتَّى وَصَلَتِ الْإِشَاعَةُ إِلَى مَسَامِعِ الْإِمْبَرَاطُورِ فَتَمَلَّكَهُ الْغَضَبُ. قَالَ الْمَلِكُ الْعَجُوزُ : « مَا هَذَا الْبُلْبُلُ، إِنَّنِي لَا أَعْرِفُهُ، أَهُوَ مَوْجُودٌ فِي إِمْبَرَاطُورِيَّتِي وَ حَدِيقَتِي وَ لَمْ أَسْمَعْ عَنْهُ قَطُّ ؟ اِئْتُونِي بِهِ ! »



تَمَّتْ تَحْضِيرَاتٌ غَيْرُ عَادِيَةٍ فِي الْقَصْرِ لِاسْتِقْبَالِ الْمُطْرِبِ الشَّهِيرِ. لُمِّعَتْ جُدْرَانُ وَ مُرَبَّعَاتُ الْخَزَفِ الصِّينِيِّ بِأَشِعَّةِ مَائَةِ أَلْفِ مِصْبَاحٍ ذَهَبِيٍّ. وَ فِي الْقَاعَةِ الْكُبْرَى حَيْثُ كَانَ يَجْلِسُ الْمَلِكُ، وُضِعَ مَجْثَمٌ مِنْ ذَهَبٍ لِاسْتِقْبَالِ الْبُلْبُلِ.

تَعَلَّقَتِ الْأَبْصَارُ كُلُّهَا بِالْعُصْفُورِ الرَّمَادِيِّ الصَّغِيرِ، الَّذِي كَانَ يُغَرِّدُ بِطَرِيقَةٍ عَذْبَةٍ وَ سَاحِرَةٍ حَتَّى نَزَلَتِ الدُّمُوعُ مِنْ عَيْنَيِّ الْإِمْبَرَاطُورِ. نَعَمْ سَالَتِ الدُّمُوعُ عَلَى خَدَّيِّ الرَّجُلِ الْعَجُوزِ وَ الْبُلْبُلُ يُغَرِّدُ أَعْذَبَ فَأَعْذَبَ. كَانَ شَدْوُهُ يَصِلُ أَعْمَاقَ الْقُلُوبِ، وَ نَالَ نَجَاحًا مُنْقَطِعَ النَّظِيرِ. وَ أَصْبَحَتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا تَتَكَلَّمُ عَنِ الْعُصْفُورِ الْعَجِيبِ الَّذِي صَارَ لُؤْلُؤَةَ الْمَمْلَكَةِ.

فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ تَلَقَّى الْإِمْبَرَاطُورُ عُلْبَةً كَبِيرَةً تَحْتَوِي عَلَى بُلْبُلٍ آلِيٍّ. وَ كَانَ هَذَا الْبُلْبُلُ مُغَطًّى بِالْمَاسِ وَ الْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ وَ الْأَزْرَقِ، كَانَ جَمِيلًا جِدًّا وَ شَدِيدَ الشَّبَهِ بِالْبُلْبُلِ الْأَوَّلِ، كَمَا كَانَ جَيِّدَ التَّغْرِيدِ، إِلَى دَرَجَةِ أَنْ رَغِبَ الْجَمِيعُ فِي أَنْ يَسْمَعُوا الْاِثْنَيْنِ يُغَنِّيَانِ مَعًا. وَ هَكَذَا كَانَ. غَيْرَ أَنَّ أَدَاءَ الثُّنَائِيِّ جَاءَ نَشَازًا، لِأَنَّ الْبُلْبُلَ الْحَقِيقِيَّ كَانَ يُغَرِّدُ حَسْبَ إِلْهَامِهِ الطَّبِيعِيِّ بَيْنَمَا كَانَ الْآخَرُ مُلْتَزِمًا بِحَرَكَةِ الْآلَةِ. تُرِكَ الْعُصْفُورُ الْاِصْطِنَاعِيُّ يُغَنِّي وَحْدَهُ، وَ نَالَ نَجَاحًا مُمَاثِلًا لِلْبُلْبُلِ الْحَقِيقِيِّ، بَلْ رَاقَ أَكْثَرَ لِلْعُيُونِ لِأَنَّهُ كَانَ يَلْمَعُ بِتَوَهُّجِ أَحْجَارِهِ الْكَرِيمَةِ.





وَ هَكَذَا غَنَّى ثَلاثًا وَ ثَلاثِينَ مَرَّةً نَفْسَ الْمَقْطَعِ بِدُونِ أَدْنَى تَعَبٍ. وَ مِنْ شِدَّةِ الْإِعْجَابِ بِهِ تَمَّ طَرْدُ الْبُلْبُلِ الْحَقِيقِيِّ، وَ نُبِذَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَ مِنَ الْإِمْبَرَاطُورِيَّةِ كُلِّهَا. وَ أَخَذَ الْبُلْبُلُ الاصْطِنَاعِيُّ الْمَكَانَ الشَّرَفِيَّ عَلَى مِنْضَدَةٍ صَغِيرَةٍ مُبَرْنَقَةٍ قُرْبَ سَرِيرِ الْإِمْبَرَاطُورِ. دَامَ الْحَالُ سَنَةً كَامِلَةً. غَيْرَ أَنَّهُ فِي إِحْدَى الْأُمْسِيَاتِ بَيْنَمَا كَانَ الْعُصْفُورُ الآلِيُّ يُغَنِّي بِأَعْذَبِ مَا لَدَيْهِ، وَ بَيْنَمَا كَانَ الْإِمْبَرَاطُورُ يُنْصِتُ لَهُ فِي سَرِيرِهِ بِمُتْعَةٍ سَمِعَ فَجْأَةً : « كْرَكْ » ثُمَّ « بْرُ- رُرُوووو » ؛ لَقَدِ انْفَلَتَتْ كُلُّ حَلَقَاتِ الْبُلْبُلِ الْإِصْطِنَاعِيِّ وَ تَوَقَّفَتِ الْمُوسِيقَى فَجْأَةً. كَانَتِ الْآلَةُ الْجَمِيلَةُ قَدْ صَدَئَتْ. يَا لِلْحَسْرَةِ ! لَمْ يَسْمَعْ أَحَدٌ بَعْدَهَا غِنَاءَ الْعُصْفُورِ الْآلِيِّ قَطٌّ.

بَعْدَ خَمْسِ سَنَوَاتٍ مِنْ ذَلِكَ، عَاشَ الْبَلَدُ أَلَمًا عَمِيقًا ؛ كَانَ الصِّينِيُّونَ يُحِبُّونَ إِمْبَرَاطُورَهُمْ كَثِيرًا ؛ لَكِنَّهُ مَرِضَ ذَاتَ يَوْمٍ وَ قِيلَ إِنَّهُ عَلَى وَشَكِ الْمَوْتِ. بِسُرْعَةٍ تَمَّ تَعْيِينُ إِمْبَرَاطُورٍ جَدِيدٍ، وَ اجْتَمَعَ كُلُّ الشَّعْبِ فِي السَّاحَةِ لِمُبَايَعَتِهِ. وَ كَانَ الْإِمْبَرَاطُورُ الْمُقَالُ يَرْقُدُ شَاحِبًا وَ بَارِدًا فِي سَرِيرِهِ الْكَبِيرِ الْفَاخِرِ. كَانَ يَتَنَفَّسُ بِصُعُوبَةٍ وَ يَشْعُرُ بِالضِّيقِ وَ كَأَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَمْشِي عَلَى صَدْرِهِ. فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَ رَأَى الْمَوْتَ جَاءَ لِيَأْخُذَهُ. شَعَرَ الْإِمْبَرَاطُورُ بِالْخَوْفِ الشَّدِيدِ وَ أَحَسَّ أَنَّ سَاعَتَهُ الْأَخِيرَةَ قَدْ حَانَتْ.





وَ فَجْأَةً، تَنَاهَى إِلَى سَمْعِهِ عَبْرَ النَّافِذَةِ تَغْرِيدٌ عَذْبٌ ؛ كَانَ بُلْبُلُ الْغَابَةِ الصَّغِيرُ يُغَنِّي فَوْقَ غُصْنٍ. وَ كَانَ قَدْ سَمِعَ بِمَرَضِ الْإِمْبَرَاطُورِ فَأَتَى حَامِلًا لَهُ الْأَمَلَ وَ الْمُوَاسَاةَ، وَ تَفَنَّنَ الْبُلْبُلُ الصَّغِيرُ فِي أَدَائِهِ بِأَعْذَبِ وَ أَلْطَفِ مَا يُمْكِنُ إِلَى دَرَجَةِ أَنْ زَالَتِ الرُّؤَى الَّتِي كَانَتْ تَحُومُ حَوْلَ الْإِمْبَرَاطُورِ. وَ كَمَا لَوْ كَانَ سِحْرًا، اِسْتَرْجَعَ الشَّيْخُ قُوَاهُ بِسُرْعَةٍ وَ قَالَ : « شُكْرًا يَا عُصْفُورِي السَّمَاوِيَّ الصَّغِيرَ، لَقَدْ طَرَدْتُكَ فِي الْمَاضِي وَ مَعَ ذَلِكَ أَزَلْتَ بِغِنَائِكَ الْوُجُوهَ الْقَبِيحَةَ الَّتِي كَانَتْ تَحُومُ حَوْلَ سَرِيرِي. كَيْفَ لِي أَنْ أُكَافِئَكَ ؟! »

قَالَ الْبُلْبُلُ : « لَقَدْ سَبَقَ وَ أَنْ كَافَأْتَنِي، لَقَدْ جَعَلْتُكَ تَذْرِفُ الدُّمُوعَ فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ غَنَّيْتُ لَكَ وَ كَانَتْ تِلْكَ الدُّمُوعُ بِالنِّسْبَةِ لِي لَآلِئَ وَ لَنْ أَنْسَى ذَلِكَ أَبَدًا. اِسْمَحْ لِي بِالْحُضُورِ إِلَى جَانِبِكَ مَتَى أَشَاءُ، سَأُغَنِّي لَكَ سَعَادَةَ وَ بُؤْسَ الْمُتَأَلِّمِينَ، وَ الْخَيْرَ وَ الشَّرَّ وَ كُلَّ مَا لَا تَعْرِفُهُ ، لِأَنَّ الْعُصْفُورَ الصَّغِيرَ يَطِيرُ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَ يَرَى كُلَّ الْأَشْيَاءَ الَّتِي لَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَرَاهَا ؛ لَكِنْ عِدْنِي بِشَيْءٍ وَاحِدٍ : لَا تَقُلْ لِأَحَدٍ أَنَّ لَكَ عُصْفُورًا صَغِيرًا يُبَلِّغُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ. ثِقْ بِي فَذَلِكَ أَحْسَنُ ».



وَ طَارَ الْبُلْبُلُ الصَّغِيرُ بَعِيدًا، وَ بَعْدَ لَحَظَاتٍ دَخَلَتِ الْحَاشِيَةُ وَ الْخَدَمُ لِيُلْقُوا آخِرَ نَظْرَةٍ عَلَى الْإِمْبَرَاطُورِ الرَّاحِلِ، لَكِنَّهُمْ وَقَفُوا مَشْدُوهِينَ عِنْدَمَا قَالَ لَهُمْ هَذَا الْأَخِيرُ بِبَسَاطَةٍ : « مَرْحَبًا ! »